

## شخصيات من الحرمين الشريفين (١٢) خبّاب بن الارت من الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون

حسن محمّد

الحديث عن مدرسة رسول الله ﷺ الأولى لا ينتهي ولا يقف عند حدٍّ، فما إن نَحَمَّ الكلام عن تلميذ من تلامذتها وشخصية من شخصياتها وعظيم من عظمائها وشهيد من شهدائها.. حتّى يجرّنا الحديث أو يبدأ عن آخر هو في العظمة لا يقلّ عن صاحبه، وفي التضحية والإيثار لا يكون أدنى منه.. وفي صدق الإيمان وعمقه لا أظنّه إلاّ مساوياً له أو قد سما عنه، فهم يتبارون بإيمانهم ويتسابقون لنيل أرقى مراتبه ودرجاته في الدنيا وفي الآخرة.

إنّها مدرسة عظيمة ذات آفاق واسعة وجذور عميقة ثابتة، فهي شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كلّ حين؛ لأنّ صانعها ومؤسّسها عظيم، راحت يدها المباركتان تمدّانها بقوة، وراح قلبه الحاني يخصّها بحنانه وشفقته، وراح علمه يُصبّ عليها، ولا ينضب له نبعٌ ولا يضوي له طلع، إنّه ماء موصول وطلع نضيد..

وها نحن الآن أمام شخصية من شخصيات هذه المدرسة النبويّة المحمّدية الأصيلّة، أمام صحابي جليل انتشله الإسلام من واقع مرير، قنّ ضعيف وعبدٍ



ذليل فإذا هو فارس مُهاب، ومقاتل شجاع، يحسب له أعداؤه ألف حساب... فكان عظيماً من عظماء الإسلام.. من فرسان الجهاد في سبيله تعالى، يدعو إلى الحق لا لغيره، ويدعو إلى العدل لا لسواه، ويدعو للإسلام الحنيف لا لدين غيره وكيف يدعو لغيره، وهو يعلم أنه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>؟! إنه قمة في المبادئ والقيم وفي الصدق والإخلاص حتى نال حظوة كبيرة عند رسول الله ﷺ وعند المسلمين ومن قبلهم عند الله تعالى. ونعم ما قال عنه إمام الموحدين عليؑ: «رحم الله خبّاباً! أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش زاهداً، وابتلي في جسمه فصبر، ولن يُضيع الله أجر من أحسن عملاً»<sup>(٢)</sup>.

لقد كان سلاحه اليقين والتقوى، قلبٌ مملوء بهما، وكفٌ صلبة تمسك سيفاً أبي صاحبه أن يضعه ما دام الإسلام بحاجة إليه، لم يفتأ هذا السيف يطارد الكفر والشرك والطغيان، فقد شهد مشاهد رسول الله ﷺ كلها، تراه في بدر يعلو هامات الأعداء وتراه في أحد هو الآخر يمزق جموعهم، وتراه في معارك الإسلام الأخرى فارساً جوالاً بين الصفوف لا يهاب عدواً ولا يخاف باطلاً...

كان هذا الصحابي الجليل من أولئك الأوائل الذين حظوا بأن يكونوا قاعدة الانطلاق الأولى للإسلام والنخبة الصالحة له بعد أن آمنت به دعوةً وجاهدت في سبيله صادقةً، يوم لم تكن هناك مطامع دنيوية يبغيونها، ويوم لم تكن هناك منافع شخصية يحوزونها، بل عذاب مستمرّ وصبر دائمٌ وجهاد متواصل ضد المشركين، الذين راحوا يكيّدون لهم الكيد كلّهم ويذوقونهم أنواع العذاب، لقد آمنت هذه الطليعة إيماناً خالصاً وأحبت رسول الله ﷺ حباً صادقاً، وسعت في الدفاع عنه يوم

(١) سورة النحل: ٤٢.

(٢) أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٠١.



كان وحيداً لا يقف معه إلا نخبة صالحة من عشيرته وعدد قليل من أصحابه، لا يشوهم شك فيه ولا ينتابهم ريب في دعوته وصدقه - لقد ادرعت هذه العصابة بالايان والايان وحده لتقاوم ما صبّ عليها من بلاء وما نالته من أذى وعذاب، خاصة هؤلاء الذين هم ضعاف المجتمع المجازي يومذاك، العبيد، طبقة سخرت لمصالح اقتصادية وتجارية وخدمية، قام على أكتافها المجتمع المكّي، خدّمته بأقل الأثمان، رغيف خبز لا غير، ووضع ذليل وسخرية تنصبّ عليهم من أسيادهم، وسيط تنهال على ضلوعهم وظهورهم...

لقد كان خباب واحداً من أولئك الذين وصفهم المشركون الطغاة بأنهم «الأردلون» وراحت هذه التسمية يطلقونها عليهم ويعيرونهم بها حتى بعد أن أعلن هؤلاء الزعماء المشركون إسلامهم، بقيت في نفوسهم وعلى ألسنتهم، بغض قديم وسخرية متأصلة لم يتخلّوا عنها حتى بعد إعلانهم الشهادتين.

لفظة ليست جديدة إنهما قديمة قدم دعوة التوحيد وقد رافقت أكثر من آمن بدعوة نوح وهود وصالح وإبراهيم... «أَنْ نُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ»<sup>(١)</sup>، «وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّبِ الرَّأْيِ»<sup>(٢)</sup>. إنه استعلاء بل طغيان اتصف به هؤلاء الذين أرادوا علواً في الأرض وأرادوا فيها فساداً، يسمّون أنفسهم أشرف القوم أو ساداتهم وزعماءهم..

إنها الجاهلية العمياء التي لا ترى لأصحاب الدعوات الصالحة أي فضل وأي كرامة ما دام الذين سبقوا إليها هم من ضعاف الناس وأقلهم مالاً وسلطاناً. كيف يؤمن طغاة قريش برسالة محمد ﷺ وقد سبقهم إليها عمّار وأبوه ياسر وأمّه سمية، وخباب، و...؟!

(١) الشعراء: ١١١.

(٢) هود: ٢٧.



لقد أدرك خبّاب الفرق بين الحرية والعبودية فنأى عن الثانية مصوّباً وجهه نحو الأولى وكان يعلم الثمن الباهظ الذي سيدفعه فداءً لعمله هذا، يعلم أنّ الثمن قد يكون حياته، لكنّه رأى أنّ الموت بعزٍّ خيرٌ من الحياة بذلّ، الموت مؤمناً أفضل من الموت كافراً، الموت قوياً أجمل من أن يموت ضعيفاً.

لقد أدرك خبّاب البون الشاسع بين الحقّ والباطل ﴿...بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾<sup>(١)</sup> فنبتذ الباطل وأعرض عنه والتحق بصفوف الحقّ متجاوزاً ما ستركه فعله هذا عليه من عذاب واضطهاد وتشريد.

لقد أدرك خبّاب طعم العلم وذلّ الجهل، فأدار بوجهه بعيداً عن جاهلية عمياء نحو ﴿تُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ... ﴿٢﴾؛ لهذا فقد خلد خبّاب واخوانه، وخلد ظالمهم أيضاً، إلا أنّ الفرق كبير والبون شاسع بين الفريقين، وبين الخلودين، فأولئك دخلوا التاريخ مؤمنين مجاهدين غير ظالمين وقد خلدوا فيه وهم يحملون هذه الصفات العظيمة فيما دخل هؤلاء التاريخ طغاة متجبرين ظالمين، وقد خلدوا فيه أيضاً، وهم يحملون أبشع الصفات وأقذرهما. فشتان شتان بين الخلودين!

\*\*\*

### خبّاب، الأرت. لغة

ما إن يقرأ شخص أو يسمع باسم هذا الصحابي الجليل حتّى يلتفت إلى غرابة اسمه دون أسماء الصحابة الآخرين، فيعود إلى معاجم اللغة، ليرى ماذا تقول في خبّاب وفي الأرت، فيجد أنّ الخبب: هو نوع أو ضرب من العدو، أو الرمل، أو هو السرعة، وقد خبّت الدابة تحبّ بالضمّ خبّاً وخبباً وخببياً.

(١) سورة الحجّ: ٦٢.

(٢) سورة المائدة: ١٥-١٦.

وهناك قول آخر: إنَّ الحُبب هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً، وأياسره جميعاً أيضاً، وقيل: هو أن يراوح كلَّ من الفرس والبعير بين يديه ورجليه. ومن العجب أن هذه كلُّها من صفات الفارس والفروسية. إلا أنَّي عثرت على معنى آخر للخُبب وهو الخداع، فرجل خُبُّ أي خداع، خُبب فلان غلامي أي خدعه، والقول المأثور: الحرب خدعة. هذا في خصوص خُبَّاب.

أمَّا ما يتعلَّق بالأرث فتأوه مشدَّدة، وهو الذي في لسانه عجلة أو عقدة أو قلة أناة... فلا يطاوعه لسانه عند إرادة الكلام، فإذا شرع يتكلَّم اتَّصل كلامه، وهناك من يقول: إنَّ أبا خُبَّاب كان كذلك يرتل في كلامه، أو في لسانه رتَّة أي عجمة<sup>(١)</sup>.

فيما نسب كلَّ من الواقدي والبلاذري هذه الرتَّة في اللسان إلى خُبَّاب نفسه، حيث قال الواقدي: كان الكن، إذا تكلم بالعربية، فسَمِّي الأرث، وقال البلاذري:... وإنَّه كانت به رتَّة، وهما يتحدَّثان عن ترجمة خباب<sup>(٢)</sup>.

#### نسبه وكنيته:

بعد أن عرَّفته كتب التاريخ ومراجعته بأنَّه خُبَّاب بن الأرث بن جندلة بن سعد ابن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، وكنيته أبو عبدالله أو أبو يحيى أو أبو محمَّد، إلا أنَّها اختلفت في نسبه<sup>(٣)</sup>.

فهو بين خزاعي، وتميمي، وزهري، وسباعي، والذي يبدو لي من مراجعة

(١) أنظر في هذا لسان العرب لابن منظور ١: ٣٤١، ٢: ٣٤، أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٦: ٣٠٤، وتنقيح المقال للمامقاني ١: ٣٩٥.

(٢) انظر قاموس الرجال للعلامة التستري ٤: ١٥٥.

(٣) أنظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢: ٩٨، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١: ٤٢٣، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين ٧: ٧٥.



حياته أن السبب في هذا الاختلاف، هو الموضع الاجتماعي الذي عاشه والسبب الذي آلت إليه حياته، مما سبب له هذا الانتماء المختلف فيه.

فلنستعرض أقوال المؤرخين، فبعضهم قالوا: إنه تميمي بالنسب، خزاعي بالولاء، زهري بالحلف، كان سبياً اشترته امرأة من خزاعة وأعتقته فهو خزاعي لحقه هذا بالولاء، وبما أنها كانت من حلفاء عوف بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة فهو زهري حلفاً، وأما نسبه الحقيقي فهو ابن مناة بن تميم جدّه السابع وبالتالي فهو تميمي.

وهناك من يقول: إن سيّدته التي اشترته هي أمّ أنمار بنت سباع الخزاعية، وأبوها سباع حليف عوف بن عبد عوف من بني زهرة<sup>(١)</sup>. فسبب هذا أن يكون خزاعياً، وسباعياً من الأسباع، وزهرياً.

وقيل: بل هي أمّ سباع بن عبد العزى الذي قتله حمزة يوم أحد، وهي التي عنا حمزة بن عبد المطلب، حين قال لسباع بن عبد العزى: هلمّ يا ابن مقطعة البظور<sup>(٢)</sup>، وهو ما حدا ببعض المؤرخين إلى الذهاب بأن أمّ خبّاب كانت ختانةً في مكة. وإن ذهب بعض المؤرخين إلى أن أمّ أنمار وأمّ سباع كانت واحدة<sup>(٣)</sup>. وقال غيرهم: هو عربي لحقه سباء في الجاهلية<sup>(٤)</sup>. وقال بعض: لم يلحقه سباء ولكنه انتهى إلى حلفاء أمّه بني زهرة<sup>(٥)</sup>.

وأنا إذ أبحث عن حياة هذا الصحابي عثرت على شخص آخر وهو أيضاً صحابي يحمل اسم خبّاب واسم أبيه، إلا أنه كان يكتى أبا يحيى وكان عبداً لعتبة

(١) الإصابة ١: ٤٢٣ وصفة الصفوة لابن الجوزي ١: ٤٢٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٢٢.

(٣) المنتظم لابن الجوزي ٥: ١٣٨.

(٤) أسد الغابة ٢: ٩٨.

(٥) الإصابة ١: ٤٢٣.

ابن غزوان المازني، وشهد معارك الإسلام ومنها معركة بدر الكبرى، وتوفي في المدينة أيام خلافة عمر بن الخطاب، سنة ١٧ أو ١٩ هجرية وله خمسون سنة، وصلى عليه الخليفة<sup>(١)</sup>.

وأنه هو الذي كان طباعاً للسيوف بمكة، لا هذا الذي هو موضع كلامنا، كما أن الثاني لم يكن قيناً فيما كان الأول قيناً<sup>(٢)</sup>، إلا أن ما اشتهر بين المؤرخين أن خباباً كان يقول: كنت رجلاً قيناً... وكان في الجاهلية قيناً حداداً يعمل السيوف<sup>(٣)</sup>. وهو أقل شهرة من الذي هو محل كلامنا هذا. وإن ذهب بعض المؤرخين إلى أنه هو واحد وليس شخصين اثنين.

#### خباب يصنع السيوف:

قدر لهذا الصبي أن يقع بين يدي أم أنمار الخزاعية، التي كانت تفتش لها عن غلام في سوق النخاسين في مكة، وهو مكان يكتظ بالعبيد، فوقع نظرها على هذا الغلام، فأعطت ثمنه وانطلقت به إلى منزلها، وإذ هي في طريقها راحت تحدته وتسأله عن اسمه فقال لها: خباب.

وما اسم أبيك، فقال لها: الأرت.

فقلت له: ومن أين أنت؟

قال: من نجد.

فقلت: إذن أنت عربي!

قال: نعم ومن بني تميم.

قلت: وما الذي أوصلك إلى أيدي النخاسين في مكة؟

قال: أغارت على حينا قبيلة من قبائل العرب، فاستاقت الأنعام، وسبت

(١) أنظر أسد الغابة ٢: ١٠١.

(٢) تصحيقات المحدثين لأبي هلال العسكري: ١١١.

(٣) أسد الغابة ٢: ٩٨؛ الطبقات الكبرى ٣: ١٦٤، دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٥٥.



النساء، وأخذت الذراري. وكنت فيمن أخذ من الغلمان، ثم ما زالت تتداولني الأيدي حتى جيء بي إلى مكة، وصرت في يدك<sup>(١)</sup>. وما إن وصلت أم أثمار إلى منزلها حتى دفعته إلى من يعلمه صناعة السيوف، فأتقنها، ثم استأجرت له دكاناً واشترت له عدة، وراحت تستثمر قدرته وتستفيد من مهارته، وتستغله أيما استغلال. لكنه اشتهر بهذه الصناعة وبدقة عمله.

**إسلامه:**

لقد وجدت قلوب المستضعفين أمانها وطمانيتها بالدعوة الجديدة، فقد عانت من الهوان والذل ما جعلها تصبوا لمنقذ لها كانت تعيشه حُلماً جميلاً فإذا به واقع أمام أعينهم، فراحوا يبادرون إلى التصديق به والتضحية في سبيله. وخبّاب هذا واحد من أولئك العبيد الذين كانوا فئة كبيرة في المجتمع المكّي يسخرهم سادة ذلك المجتمع في نواح متعدّدة تجارية وزراعية وخدمية بأثمان رخيصة لا تتجاوز رغيف الخبز وافرّاش الأرض، معاملة سيئة للغاية، وظلم نزل بهم، وحيف لا يفارقهم، وتعذيب لا يتوقّف؛ لهذا ما إن رأوا نور الإسلام يبرز في مكة إلا وتراهم يؤمنون به ويتفانون في الدفاع عنه.

لقد كان سادس الذين آمنوا في مكة وهو سبق عظيم ناله ومنزلة رفيعة ظلّت ترافقه في حياته، وذكرى حسنة ظلّت هي الأخرى وساماً خالداً.

تقول الرواية:

إنّ خبّاب بن الأرت أسلم سادس سنّة له سدس الإسلام<sup>(٢)</sup>.  
والأخرى تقول:  
أول من أظهر الإسلام سبعة، وعدّت منهم خبّاباً<sup>(٣)</sup>.

(١) صور من حياة الصحابة، للدكتور عبدالرحمن رأفت باشا: ٤٣١-٤٣٢.

(٢) أسد الغابة ٢: ٩٨؛ حلية الأولياء للأصفهاني ١: ١٤٣.

(٣) أسد الغابة ٢: ٩٨؛ الوسائل إلى معرفة الأوائل لعبد الرحمن السيوطي: ٩٦.



وثالثة تقول :

كان إسلامه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو بها<sup>(١)</sup> .  
 فعن الإمام علي عليه السلام : السبّاق خمسة ، فأنا سابق العرب ، وسلمان سابق  
 فارس ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبش ، وخبّاب سابق النبط<sup>(٢)</sup> .  
 وذكر اليعقوبي في تاريخه :

كان أوّل من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء ، وعلي بن أبي طالب من  
 الرجال ، ثمّ زيد بن حارثة ، ثمّ أبو ذرّ ، وقيل : أبو بكر قبل أبي ذرّ ، ثمّ عمرو بن  
 عبسة ، ثمّ خالد بن سعيد بن العاص ، ثمّ سعد بن أبي وقاص ، ثمّ عتبة بن غزوان ، ثمّ  
 خبّاب بن الأرت ، ثمّ مصعب بن عمير<sup>(٣)</sup> .

وبإسلامه وإسلام رفاقه ، بدأت حياتهم من جديد ، حيث عقب الحرية  
 والمساواة ، وهم يسمعون : لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلاّ  
 بالتقوى . وقد آخى رسول الله ﷺ بعد الهجرة بين خباب وجبر بن عتيك ، وشهد  
 بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ ، فيما وقع الخلاف بين علماء  
 الرجال والمؤرخين في أنّه هل أدرك معركتي صفين والنهروان ؟ فمنهم من قال :  
 أدركهما مع الإمام علي عليه السلام ، ومنهم من قال : حال بينه وبينها المرض والموت ، فيما  
 أدرك ابنه عبد الله بن خباب النهروان فذبحه الخوارج وبقروا بطن امرأته<sup>(٤)</sup> .

**إنّه لمن المعدّبين!**

ما إن علموا بإسلامه حتّى تحولقوا حوله ، ولم ينفصوا منه إلاّ وقد أخذت  
 سيّاطهم من جسمه مأخذها ، لكنّها لم تتل شيئاً من إيمانه ولم تنخر عزيمته ، ولم

(١) الطبقات الكبرى ٣ : ١٦٥ .

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ١ : ٣١٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٣ .

(٤) أنظر المامقاني في التنقيح ١ : ٣٩٥ ؛ والتستري في قاموسه ٤ : ١٥٨ .



تضعف بناءه، إنَّه إيمان عظيم وعزيمة لا تهين وبناء كالجبل لا يُهدَّ...  
كان خَبَّابٌ مَنَّ يَعْذِبُ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِمَكَّةَ فِي الرَّمْضَاءِ حَتَّى بَرَصَ ظَهْرَهُ (١).  
وعن عروة بن الزبير أنَّه قال: كان خَبَّابٌ بن الأرت، من الذين يعذبون بمكَّة  
ليرجع عن دينه (٢).

ويقول الشعبي عنه:

لقد صبر «خَبَّابٌ» ولم تلن له بين يدي الكفَّار قناة أو أعطوهم [بعض  
المعذَّبين من المسلمين] ما أرادوا حين عذبوا إلاَّ خباب بن الأرت، أو إنَّ خباباً  
صبر ولم يعطِ الكفَّار ما سألوا، فجعلوا يلصقون ظهره العاري بالرَّضْفِ (٣)، حتَّى  
ذهب لحمه أو لحم منته (٤).

لقد حوَّل كفَّار قريش جميع الحديد الذي كان بمنزل «خَبَّابٌ» والذي كان  
يصنع منه السيوف.. حوَّلوه كلَّه إلى قيود وسلاسل، كان يُحمى عليها في النار حتَّى  
تستعر وتتوهَّج، ثمَّ يطوَّق بها جسده ويدها وقدماه... (٥).

لقد ذهب خَبَّابٌ بن الأرت وبعض رفاقه المعذَّبين إلى رسول الله ﷺ، لا  
أظنَّهم جزعين من التضحية بل كانوا راجين العافية.

يقول خَبَّابٌ: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسِّد بُرْدَةً له في ظلِّ الكعبة،  
قلنا له: ألا تدعو الله لنا؟

قال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، ويمشط بأمشاط الحديد ما  
دون لحمه من عظمٍ أو عصبٍ، وما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليُتَمَنَّ هذا الأمر حتَّى

(١) أنظر تصحيفات المحدثين: ١١١.

(٢) الطبقات الكبرى ٣: ١٦٥.

(٣) الرضف: الحجارة المحمَّاة.

(٤) ذكر هذا خالد محمد خالد في رجال حول الرسول: ٢٩٣.

(٥) خالد محمد خالد، رجال حول الرسول: ٢٩٣.



يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون<sup>(١)</sup>.

راحت كلمات رسول الله ﷺ تترك بصماتها عليهم، فعادوا منه وقد ازدادوا إصراراً على مواقفهم وعاهدوا ربهم أن يجعلوا أنفسهم نماذج للعطاء والتضحية والاستبسال في سبيله، حتى يجعلوا كلمة الله هي العليا وكلمة الكافرين هي السفلى.

لم يبقَ أحدٌ من المشركين وزعمائهم بل وحتى سيّدته أمّ أنمار التي كان عبداً لها راحت هي الأخرى تشفي غليلها منه، تمسك حديدة محمّاة ملتبهة لتضعها مرّة فوق رأسه وأخرى فوق جسده، وكان خباب بين هذه وتلك صامتاً صابراً لا ينطق بشيء ولا يظهر لهم حتى الأنين، فيشفي صدورهم، ويُرضي كبرياءهم وجبروتهم، فراح غيظهم يزداد، وحنقهم يعظم... وكان يعينها على ذلك أخوها سباع بن عبد العزى... وقد أقرّ الله تعالى عيني خباب بروية سباع هذا وقد نال جزاء شركه وظلمه حيث صرعه سيّد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب في معركة أحد.

وهو بهذه الحال يعذب بين أيديهم إذ به يسمع صوت حبيبه رسول الله ﷺ وهو ينطلق من قلبٍ مملوء شفقةً وألماً ومرارةً عليه: «اللهم انصر خباباً».

ما أعجل الجزاء الذي نزل بسيّدته العنيد أمّ أنمار! راحت تعوي كالكلاب بعد أن أصيبت بسعار عصيب، حتى وصفوا لها علاجاً لا ينفعها إلا أن تضع رأسها بالنار كي يكوى، وقد قدر لخباب أن يتولى هذا العمل فكان يأخذ الحديد المحمّاة فيكوي بها رأسها<sup>(٢)</sup>. فكان عقابها من جنس ما اقترفته يداها، إنه العقاب العدل!

(١) صحيح البخاري ٣: ١٣٢٢ ح ٣٤١٦.

(٢) أسد الغابة ٢: ٩٨.



### آيات ترعاهم:

وراحت قيم الإسلام وكلمات الرسول الكريم تدقّ إسفيناً بينهم وبين كبار قريش ومترفيهم وطغاتهم ..

إنه الإسلام، إنه النور الذي يشقّ الظلام ويبعث الحياة من جديد .  
كما راح القرآن يواكبهم ويرافقهم ويحيطهم بالرعاية ، ضدّ قريش التي ما انفك طغيان زعمائها وكبرائها من ملاحقة هؤلاء المستضعفين ، والسخرية منهم والتعالي عليهم ... حتى بعد إعلانهم الشهادتين والتحاقهم بالصفّ الإسلامي ظاهراً وهو ما يبدو من المتابعة الدقيقة لحياة الكثير منهم ، فقد كانوا أقرب للنفاق منه إلى الإسلام ...

فيما راحت آيات القرآن الكريم تدحض كيدهم وتطيح بتآمرهم ودسائسهم ، التي ما انفكوا ييكونها ضدّ هذه الفئة المظلومة المستضعفة من الصحابة المؤمنين ، كما راحت تشيد بهؤلاء الثلة المؤمنة وبصدق إيمانهم ، وتحضّ على الوقوف معهم وعدم تركهم وحدهم وسخرية واستهزاء زعماء قريش تلاحقهم ، والتصدي لكلّ تأمر ضدّهم ، وعدم الاستجابة لمطالب هؤلاء الطغاة والمستكبرين ، بل أخذت هذه الآيات تغدق على هؤلاء المعذبين أو سمّة عظيمة ظلّت تشكّل ذكرى طيبة خالدة لهم في الدنيا والآخرة :

● ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

نزلت بعد أن مكثت قريش على ضلالها وعنادها وكبريائها وهي ترى ضعاف مجتمعها يؤمنون برسالة محمد ﷺ ليكونوا شوكةً تنخر مجتمعها الفاسد وكيانها الضالّ ، وجنوداً لثورة عارمة ضد طغيانها وجبروتها .. كانت تدرك كلّ

(١) سورة النحل : ٤١ .

هذا.. لهذا راحت تصبّ عليهم غضبها وتنزل بهم العذاب فلعلّها تحدّ من انتشار هذا الدين بين صفوفهم إن لم تستطع إيقافه وإماتته.. وإعادتهم إلى ما تعبد إلى دين آبائها وأجدادها أذلةً خاسئين.

نزلت هذه الآية - على ما قاله الشيخ الطبرسي - في المعذّبين بمكّة مثل: صهيب وعمّار وبلال وخبّاب وغيرهم مكّتهم الله بالمدينة، وذكر أنّ صهيباً قال لأهل مكّة: أنا رجل كبير إن كنتُ معكم لم ينفعكم، وإن كنتُ عليكم لم يضركم، فخذوا مالي ودعوني، فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول الله ﷺ. فقال له أبو بكر: ربح البيع يا صهيب.

ويروى أنّ عمر بن الخطّاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، قال له: خذ هذا ما وعدك الله في الدُّنيا، وما أخّره لك أفضل، ثمّ تلا هذه الآية<sup>(١)</sup>. فيما قال الواحدي في أسبابه: نزلت في أصحاب النبي ﷺ بمكّة: بلال، وصهيب، وخبّاب، وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكّة فعذبوهم وآذوهم، فبوّأهم الله تعالى المدينة بعد ذلك<sup>(٢)</sup>.

حقاً أنّ الله تعالى بوّأهم مكاناً محموداً في الدُّنيا ومنحهم أجراً عظيماً في الآخرة، راحت تتغنّى بأمجادهم هذه الأجيال ويقتدي بسيرتهم الثوّار والمجاهدون، وراحوا يقفون عند مفاصل حياتهم الجهادية وهم يعدّون وهم يخوضون غمار معارك الإسلام الأولى، كلّ هدفهم الشهادة فيكتمل بذلك موقفهم الإيماني، وتنزل بذلك النعم عليهم فهم بها غير زاهدين وليسوا بقليلها مقتنعين، إنّما كانوا يطلبون المزيد من كرامة الدُّنيا وثواب الآخرة، وكان ديدنهم الشكر قولاً وعملاً ومزيداً من التضحيات والتحمّل والصبر، وكانوا مصداقاً لقوله تعالى:

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي: ٥٥٧/٦، وفي تفسير الآية من سورة النحل.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٢٨٥.



﴿لَيْتَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

● ﴿وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾<sup>(٢)</sup>.

نزلت في سلمان وأبي ذرٍّ وصهيب وعمّار وخبّاب وغيرهم من فقراء أصحاب النبي ﷺ وذلك أنّ المؤلّفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ وهم عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس وذوهم، فقالوا: يا رسول الله إن جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائح صنانهم (تنن الابط) وكانت عليهم جباب الصوف، جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء، فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ يلتمسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عزّ وجلّ، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي، معكم المحيا ومعكم الممات<sup>(٣)</sup>.

● ﴿...وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

بعد أن يئست قريش من أن تصل إلى غايتها بأساليبها القذرة، بدأت باتّباع اسلوب آخر في تعاملها وملاحقتها للتوّار البررة لا يقلّ قذاراً عن الذي سبق، ألا وهو أن اطرد يا محمّد هؤلاء «عمّار وصهيب وبلال وخبّاب وسلمان وأبو ذرٍّ وغيرهم من الفقراء الذين آمنوا به حين كذّبه هؤلاء الذين يسمونهم بالأشراف، ونصروه حين خذله الناس الآخرون ومنهم هؤلاء الأثرياء وكبار قريش...»

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٣) أنظر مجمع البيان، للطبرسي ٦: ٧١٧-٧١٨.

(٤) سورة الأنعام: ٥٢.



فيكون لنا مجلس معك وكلام؛ لأنه لا يليق بنا أن يضمنا مجلس واحد مع هؤلاء الفقراء العبيد وذوي الثياب الرثة، فنتساوى معهم، فلو نحييتهم عن مجلسك لتوافد عليك أهل الثراء والإشراف، وقد تتبعك، ما أشبه اليوم بالبارحة، حيث قال زعماء قوم نوح عليه السلام له: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِي الرَّأْيِ﴾<sup>(١)</sup> إنها الشأنية القذرة!

فلعلها بهذه الطريقة توقع بين محمد وصحبه وتزرع الشقاق في الجماعة المسلمة وتنخر بالجسم الواحد فيتفتت، ولخطورة هذا الأسلوب، ولفداحة ما ينتجه وما يتركه على نفوس هؤلاء المعذبين وهم يرون معذبهم بين يدي رسول الله معززين مفضلين وهم عنه بعيدون إنها ذلة لا تستطيع نفوسهم تحملها! وهل هذا جزاؤهم؟! وهل هذه مكافأتهم؟!

سارعت السماء فأنزلت قرآناً يحسم هذا الكيد ويطيح به، وتثمن مواقف المعذبين وتدين مواقف غيرهم.  
يقول عبدالله بن مسعود:

مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وخبّاب وبلال وعمّار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أَرْضَيْتَ بِهِؤْلَاءِ مِنْ قَوْمِكَ؟ أَفَنَحْنُ نَكُونُ تَبَعاً لَهُمْ؟ أَهؤْلَاءِ الَّذِينَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ...﴾.

قال سلمان وخبّاب: فينا نزلت هذه الآية؛ جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وعمّار وخبّاب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقرّوهم، وقالوا: يا رسول الله لو نحييت هؤلاء عنك حتى نخلو بك، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحي

(١) هود: ٢٧.



أن يرونا مع هؤلاء الأعبد، ثم إذا انصرفنا، فإن شئت فادعهم إلى مجلسك، فأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك، فقال له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفة وأحضر علياً ليكتب.

قالا: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبرئيل ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

فنحى رسول الله ﷺ الصحيفة، وأقبل علينا ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربكم على نفسه الرحمة. فكنا نقعد معه<sup>(١)</sup>.

وعن عكرمة قال: جاء آل شيبه وعتبة ابنا ربيعة ونفرٌ معها سمّاهم أبو طالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك محمداً يطرد موالينا وحلفاءنا، فأئما هم عبيدنا وعُسفاؤنا<sup>(٢)</sup> كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بالذي كلّمه، فأنزل الله عزّ وجلّ الآية.

قال: وكانوا بلالاً وعمّار بن ياسر مولى أبي حذيفة بن المغيرة، وسالمًا مولى أبي حذيفة بن عتبة، وصبيحاً مولى أسيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو وخبّاباً مولى أمّ أنمار.

● وكانت قصّة دَينِ خُبّابِ على العاص بن وائل سبباً في نزول آيات: فعن خُبّاب أنّه قال: كان لي على العاص بن وائل دَينٌ، حين كان قد باعه سيوفاً عملها له، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لن أقضيك حتّى تكفر بمحمّد. قال: فقلت له: إنّي لن أكفر بمحمّد حتّى تموت، ثمّ تبعث. قال: وإنّي لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد.

(١) مجمع البيان للطبرسي، في تفسير الآية.

(٢) العسيف: الأجير المستهان به، أنظر لسان العرب: عسف.



قال وكيع : كذا قال الأعمش .

قال : فنزلت ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا \* أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا \* كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدَدًا \* وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾<sup>(١)</sup> .

علمه :

كان خبّاب بن الأرت ممن يرجع إليه في القرآن قراءةً وحفظاً وفقهاً لمعانيه وفهماً لمقاصده ، وكان استاذاً لجمع من الصحابة الذين كان منهم عبدالله بن مسعود ، فقد كان من تلاميذه ومريديه .

ولما كانت الدعوة الإسلامية تعيش مرحلة الكتمان والسريّة في مكّة ، كان هذا الصحابي الجليل يختلف سرّاً إلى إخوانه ممن آمنوا وكنتموا إيمانهم خوفاً من بطش مشركي مكّة وكبريائهم ؛ ليحفظهم ما ينزل من آيات القرآن الكريم ويعلمهم ما تتضمنه من معانٍ جميلة ومقاصد عالية . وهذه من النعم الكبيرة التي هيّاها الإسلام له بعد إسلامه وإخلاصه وجدّيته في تلقي علوم الإسلام ومعرفة آيات القرآن الكريم ومفاهيمه .

مما رواه وقاله :

ذكرت له عدّة روايات في كتب الأحاديث ، لعلّها تصل إلى ٣٨ حديثاً ، منها :  
● تلك الرواية التي ذكرناها والتي قال فيها وجماعته لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟...<sup>(٢)</sup> .

وهذه الرواية تبين طغيان وقسوة المستكبرين ، وما عاناه هؤلاء المؤمنون بل ما تعانيه الأجيال المؤمنة على مرّ التاريخ من ظلم الطغاة وتعذيبهم وبشاعتهم ...

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٦٤ ح ١٢ ، صحيح البخاري ٢ : ٧٣٦ - ٧٣٧ ح ١٩٨٥ .

(٢) صحيح البخاري ٣ : ١٣٢٢ ح ٣٤١٦ .



● قال : هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فننا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً ، منهم مصعب بن عمير ، وعلى قول آخر حمزة عم النبي ، قتل يوم أحد ، وترك غمراً (بردة) ، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه ، ونجعل على رجله شيئاً من إذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها<sup>(١)</sup> .

● ومنها الرواية التي نقلناها فيما سبق وكانت سبباً لنزول الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا...﴾<sup>(٢)</sup> .

● أخبر جماعة من أصحاب خباب : بينما نحن في المسجد إذ جاء خباب بن الأرت فجلس فسكت ، فقال له القوم : إن أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحدثهم أو لتأمرهم .

قال : بم أمرهم؟ ولعلي أمرهم بما لست فاعلاً .

● قال قيس : أتيت خباباً وهو يبني حائطاً له ، فقال : إن أصحابنا . وفي رواية أخرى أصحاب محمد ﷺ مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئاً ، إننا أصبنا من بعدهم شيئاً ، وفي رواية : وإننا أصبنا من الدنيا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب<sup>(٣)</sup> .

موقف خالد :

قضى الشطر الأكبر من حياته رضوان الله عليه في فقر وفاقة ، حاله حال الكثير من إخوانه المؤمنين ، إلا أنه في أواخر عمره من الله تعالى عليه فاعتنى حتى ذكر أنه ملك ما لم يكن يحلم به من الذهب والفضة .

ومع هذا كله بقي هذا الرجل كما عرف عنه زاهداً لم تغيره الدنيا ولم تضعف إيمانه ؛ لهذا راح يتصرف فيما جعله الله مستخلفاً فيه بوجه لا يخطر على بال أحد .

(١) المصدر نفسه ٣ : ١٤١٥ ح ٣٦٨٤ .

(٢) صحيح البخاري ٢ : ٧٣٦ - ٧٣٧ ح ١٩٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ٥ : ٢٣٦٢ - ٦٠٦٩ ح ٦٠٦٦ .

وضع ماله ودراهمه و دنانيه في مكان من بيته غير مستور، أي لم يخبئه، ولم يشدد عليه رباطاً ولم يحكم عليه قفلاً، وقد أذن لمن هو في حاجة أن يأخذ منه ما يسد حاجته دون أن يسأله أو يستأذن منه؛ لينال بذلك رضا الله تعالى.

ومع موقفه هذا من الذي بين يديه، تراه يخشى من أن يكون غناه و ثراؤه هذا أجراً لما قدمه من مواقف وتضحيات في سبيل الله، استوفاه في الدنيا. فقد حدث جمع من أصحابه قائلين:

دخلنا على خباب في مرض موته، فقال:

إن في هذا المكان ثمانين ألف درهم، وإني ما شددت عليه رباطاً قط، ولا منعت سائلاً قط، ثم بكى.

فقالوا له: ما يبكيك؟

فقال: أبكي لأن أصحابي مضوا ولم ينالوا من أجورهم في هذه الدنيا شيئاً، وأني بقيتُ فملتُ من هذا المال ما أخاف أن يكون ثواباً لتلك الأعمال، أو لقد خشيت أن يذهب بأجورنا مع رسول الله ﷺ ما أصبنا من الدنيا.

**الكوفة:**

لأسباب عديدة، قد يكون الوضع السياسي في خلافة عثمان بن عفان واحداً منها، غادر جمع من الصحابة مدينة رسول الله ﷺ متوجهين نحو الكوفة، حيث سبق وأن أقطع عثمان جمعاً من المسلمين ومنهم خباب والزبير... قطيعةً من أرض الخراج في الكوفة، اتخذوها سكناً لهم حينما تركوا المدينة.

تقول الرواية:

... كان الناس يقدمون على عثمان بن عفان، وكان منهم ابن مسعود وابن ياسر والزبير وغيرهم، فيسألونه أن يعوّضهم مكان ما خلفوا من أرضهم بالحجاز وتامة، ويُقطعهم عوضه بالكوفة والبصرة، فأقطع خباب بن الأرت



استينيا، قرية بالكوفة<sup>(١)</sup>.

وفي خبر إنما القطائع كانت على وجه الفضل من خمس ما أفاء الله .  
وفي رواية أخرى :

وابتنى - خُباب بن الأرت - بالكوفة داراً في جهار سوج خُنيس<sup>(٢)</sup> ..

وفي معجم البلدان : يعرف بجهار سوج الهيثم بن معاوية من القوادر  
الخراسانية ، وهي كلمة فارسية ... وهي من محالّ بغداد في قبلة الحربية ، خرب ما  
حولها من المحال وبقيت هي والنصيرية والعتّايون ودار القرّ متّصلة بعضها ببعض  
كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد<sup>(٣)</sup>.

بعض ما قاله فيه علماء الرجال :

كان لخباب عند علماء الرجال منزلة محمودة وأنه ثقة جليل ، فقليلاً ما تخلوا  
كتبهم من ذكر اسمه وترجمة حياته والإشادة به .

فهذا شيخ الطائفة عدّه من جملة رجاله<sup>(٤)</sup> ، فيما قال عنه بحر العلوم<sup>(٥)</sup> في  
رجالهِ : خباب بن الأرت التيمي أبو عبد الله أحد السابقين الأولين الذين  
عذبوا ... فيما قال التستري في قاموسه : ... وممدوحية خباب مسلمة كما عرفت  
من مدح أمير المؤمنين عليه السلام له<sup>(٦)</sup> .

فيما ذكره العامّة ابن عبد البرّ وابن مندة وأبو نعيم ... بأنّه صحابيّ جليل وأنّه  
كان من فضلاء المهاجرين الأولين ...<sup>(٧)</sup>

(١) أنظر معجم البلدان ، لياقوت الحموي . وتاريخ الطبري ٢ : ٤٣٨ .

(٢) أنظر تاريخ الكوفة : ٣٩٨ .

(٣) أنظر معجم البلدان ٢ : ١٩٣ .

(٤) رجال الطوسي : ١٩ .

(٥) رجال بحر العلوم .

(٦) القاموس للعلامة التستري ٤ : ١٥٦ .

(٧) المصادر نفسها .

### وفاته رضوان الله عليه:

كان هذا الصحابي الجليل على موعد مع ظهر (أي ما غلظ وارتفع) الكوفة، هناك حيث رقد جسده المعذب بعد صبرٍ طويل ومثابرة عظيمة وثبات منقطع النظير في أن يبقى على العهد مؤمناً صادقاً مجاهداً حتى يلقى الله تعالى صابراً محتسباً. وبوفاته ودفنه في الكوفة كان أول صحابي يدفن فيها.

تقول الرواية وهي عن ابن خبّاب: كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة في جبايينهم، فلما ثقل خبّاب قال لي: أي بُني إذا متُّ فادفني بهذا الظهر، فإنك لو قد دفنتني بالظهر قيل: دُفِنَ بالظهر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فدفن الناس موتاهم، فلما مات خبّاب رحمه الله، دفن بالظهر فكان أول مدفون بظهر الكوفة<sup>(١)</sup>.

وهذا محلّ اتفاق المؤرّخين إلا أنّهم اختلفوا في سنة وفاته رضوان الله عليه، فهناك من يقول: صلّى عليه عليٌّ وجهته منصرفه من صفّين<sup>(٢)</sup>، وقول: في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة<sup>(٣)</sup>. وقول آخر: إنّه توفّي في السنة التاسعة عشرة من الهجرة<sup>(٤)</sup>. وآخر بعد معركة النهروان سنة ٣٩ هجرية. إلا أنّ الأكثر شهرة أنّه توفّي في السنة السابعة والثلاثين من الهجرة، بعد ما شهد صفّين مع عليٍّ رضي الله عنه والنهروان، وصلّى عليه عليٌّ، وكان عمره إذ مات ثلاثاً وسبعين سنة...

فيما قال ابن الأثير بعد هذا: الصحيح أنّه مات سنة سبع وثلاثين وإنّه لم يشهد صفّين، فإنّه كان مرضه قد طال به فنعه من شهودها<sup>(٥)</sup>.

(١) أنظر الطبقات الكبرى ٣: ١٦٧.

(٢) حلية الأولياء ١: ١٤٧.

(٣) الاستيعاب ١: ٣٢.

(٤) المصدر نفسه: ٤٢٣-٤٢٤ والإصابة ١: ٤١٦.

(٥) أسد الغاية ٢: ١٠٠.



إذا كان الإمام علي عليه السلام مشغولاً في حرب صفين، وترك خباباً مريضاً في الكوفة ولعل الذي يؤيد كونه مريضاً، ما ورد في كلام الإمام عليه السلام الآتي. «وابتلي في جسمه فصر». ولم يكن حاضر وفاته وهو ما توهمه بعض.

### الإمام علي عليه السلام مؤبناً

ما إن عاد الإمام علي عليه السلام من معركة صفين ووصل إلى ظهر الكوفة حتى سأل: ما هذه القبور؟ فقال قدامة بن العجلان اليزدي: يا أمير المؤمنين، إن خباب ابن الأرت توفي بعد مخرجك، فأوصى بأن يُدفن في الظهر، وكان الناس إنما يدفنون في دورهم وأفئتهم، فدفن بالظهر رحمه الله، ودفن الناس إلى جنبه. فوقف الإمام عليه السلام على هذه القبور قائلاً:

السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة! من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا فرط، ونحن لكم تبع، نزوركم عمّا قليل، ونلحق بكم بعد زمان قصير. اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنّا وعنهم. الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً، أحياء وأمواتاً، والحمد لله الذي منها خلقنا، وعليها ممشانا، وفيها معاشنا، وإليها يُعيدنا، طوبى لمن ذكر المعاد، وقنع بالكفاف، وأعدّ للحساب<sup>(١)</sup>!

ثم قال عليه السلام مؤبناً وقد انفرد بقبر غضّ رطيب يضمّ رفات هذا العبد الصالح: رحم الله خباباً! لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش زاهداً، وابتلي في جسمه فصر!

ولن يُضيع الله أجر من أحسن عملاً<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٣: ١٠٨، وأسد الغابة ٢: ١٠٠، ووقعة صفين: ٥٣٠، شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٠٦-٢٥٧.

(٢) أنظر العقد الفريد ٣: ٢٠١، أسد الغابة ٢: ١٠٠.